

### محاضرة

رغم كثرة الدراسات حول مصير «المورسكيين» بعد تهجيرهم من إسبانيا، إلا أن أغلبها ركّز على أحوالهم في بلدان إسلامية، أما حضورهم في بلدان أوروبية، فلمأخذ درس. الباحث برنار فانتان تناول هذا التاريخ في محاضرة نظّمها «معهد سرفانتس» في الرباط

### جعفر الطونبي

لميست الدراسات التي تناولت المصير المورسكيّ (الأندلسي) خارج الحدود الإسبانيّة، بعد العام 1609، بالقليبة. وعلى ضوء عدد المطرودين من إسبانيا ظلوا على حالهم بمجرد عبورهم الحدود، أي أنهم -وهم الذين بلغ عددهم ثلاثمئة ألف، وفقاً للرقم الذي يطرّحه معظم الباحثين- لم يدوبوا في البحر أو يّاقسوا الغناء، لكن واقع الحال يقول إنهم عانوا سلسلة من التحوّلات بعد أن استقرّوا في عدد من المناطق المتفرّقة جغرافياً؛ بدءاً من شمالي أفريقيا، مروراً بضمير وتركيا، وانتهاءً بباروكيا؛ فرنسا وغيرها.

عموماً، يُرجع المؤرّخون معظم الدراسات العلمية التي تناولت طرد «المورسكيين» (الأندلسيين) بالتمسبة الشائخة في إسبانيا والغرب) إلى خمسينات القرن الماضي، مُعيدين هذا الاهتمام إلى عمليّة الطرد في حدّ ذاتها، وإلى الأثر الذي تركه المورسكيّون وأحفادهم في المجتمعات الإسلاميّة التي استقرّوا فيها. ضمن هذا

### تراجيديا كبرى منسية

في محاضرته التي نظّمها «معهد سرفانتس» في الرباط أخيراً، يلتزم الباحث الفرنسي برنار فانتان (الصور)، الذي أكّبر ما زال حقيقياً حول مصير الأندلسيين في فرنسا، ويؤكد أنّ الأساطير تحتم على كلّ باحثٍ تاريخيّ منخصّص، أن يشرّح عن ذراعيه لتفصّل الظاهر المتراكم على الكتب التي تناهت تاريخهم، لكنّه يبدّئ شكّه في أن يحيط بذلك، رغم الهبة القيام به، بالتراجيديا الأساطيريّة التي لحقت بهم، من طرد ومحاكم تفتيش.

### اقتفاء آثار من انقطعت عنّا أخبارهم

# الأندلسيون في منفاهم الفرنسي



جاره من لوحة «الباب المورسكي» (1835) لفرانسوا اوجن إريابه (Gerty)

### فرض على بعض الأندلسيين الرحبة إلى بلدان مسيحية حصراً

### كثّر منهم مبعادرون المغرب والجزائر

حملة احتراز منتهجة من قبل السلطات الفرنسيّة لترحيل أولئك الذين دخلوا بادئ الأمر إلى أراضٍ مسلمة. بدأت المفاوضات بعدم إيباء المتغيّين الجدد من إسبانيا، وترحيل بعض المورسكيين الموجودين في فرنسا إلى المغرب وغيره من الدول.

أثا عن مناطق انتشار المورسكيين في الأندلس، يبيّن أن عدد المورسكيين الذين دخلوا فرنسا بعد عام 1609، وأصبح لهم نفوذ قويّ في البلاط الفرنسي، كما

فرنسا، فيتحّدث فانتان، بشكل أساسي، عن الموائى الساحلثة (مرسيليا وتولون)، كما يشير إلى أمر في غاية الأهميّة، وهو أنّ بعض النشلاء الفرنسيين استقبلوا المورسكيين استقبالا حسناً، وسلّموهم أراضيهم الزراعيّة كي يعملوا فيها، نظراً لخبرة هؤلاء في الزراعة.

ويشير الباحث الفرنسي، بين مجموعة من الأمور، إلى صعوبة تحديد عدد المورسكيين الذين ظلّوا في فرنسا، نظراً لعدم وجود مصادر تاريخيّة. إذ إنّ آخر الأخبار والوثائق الموجودة عنهم تعود إلى عام 1670، ومن هنا تأتي صعوبة البحث التاريخي عن أخبار آخر المورسكيين في فرنسا. ذلك أنّ قسماً كبيراً منهم اضطرّ إلى تغيير نسبتّه، خوفاً من التعرّض للملاحقة، وهو ما يصعب مهجة تعقب أخبارهم إثر تبنّيهم أسماء وألقاباً فرنسيّة.

ويذكر لنا فانتان أسماء بعض أسر المورسكيين الأوائل الذين دخلوا فرنسا واستقرّوا فيها بدءاً من العام 1603، وأصبح لهم نفوذ قويّ في البلاط الفرنسي، كما

أنّهم تدخّلوا في مفاوضات أزمة العام 1609، بشأن ترحيل بعض الموجودين منهم إلى هولندا والمغرب ودول الجوار، ناهيك عن دورهم البارز في التجارة عبر البحر المتوسط، مثل أسرتي زياتاس ولوبيز، وتحديداً الفونسو لوبيز، الذي كان له تأثير بارز في البلاط الفرنسي، وذلك بسبب علاقاته التجارية مع مجموعة من اليهود النافذين في مرسيليا.

فانتان لا يتردّد في الحديث عن خيبة أصل كبيرة شعر بها المورسكيّون حين وصولهم إلى فرنسا، ولا سيّما أنّهم توقعوا أنّ في إمكانهم ممارسة حياتهم على نحو طبيعي. لكنّ حقيقة الأمر تقول إنهم تعرّضوا لابتزاز كبير، ووجد الكثير منهم نفسه منسحقاً إلى اعتناق المسيحيّة علناً، لكنهم سرّاً ظلّوا محافظين على دينهم الإسلامي. والنتيجة أنّ كثيرين منهم، بعد مرور فترة من الوقت، غادروا فرنسا إلى بلدان أخرى، مثل المغرب وتركيا أو الجزائر، وسرعان ما عادوا ليُعلنوا إسلامهم.

(كاتب ومترجم سوري مقيم في إسبانيا)

### كتاب

### قراعات في أعمال صاحب «الربوة المنسية»

# مولود معمري في أكثر من صورة

ملبحة فاطمة بوحلو، التي سبق أن أصدرت كتاباً حول الروائي والباحث الجزائري عام 2017 بعنوان «مولود معمري: ذاكرة وثقافة وتأموسني»، قراءة في رواية «العبور» التي قالت إنّها بمثابة نقحة لـ«الربوة المنسية» التي صدرت قبلها بثلاثين عاماً، في حين يشير محمد بفصح إلى الانتقادات التي وُجّهت إلى معمري بسبب روايته «الربوة المنسية»، خصوصاً بعد فوزها بجائزة في فرنسا؛ حيث «بات يُنظر إليه في الجزائر بحدّ».

ولّى جانب المقالات الأربع، يتضمن الكتاب حواراً مع المخرج أحمد راشدي، الذي حول رواية «الأيون والعصا» إلى فيلم سينمائي صدر عام 1971.

«الربوة المنسية» (1952)، و«غفوة العادل» (1955)، و«الأيون والعصا» (1965)، و«العبور» (1982)، إلى جانب مجموعة قصصية بعنوان «موظفة البنك» (1973).

في الكتاب الذي صدر حديثاً عن «دار فنانز فانون»، بعنوان «مولود معمري: ملقّف سعيد وروائي محتط»، ينطلق أربعة أكاديميين جزائريّين من مواقف معمري وأعماله الأدبية والفكرية للنساول عن مكانة المثقّف في المجتمع الجزائري؛ حيث تُقدّم الأكاديمية والباحثة جمعة معروزي

قراءة في رواية «الأيون والعصا»؛ مُركّزة على فضائها المكاني ممثلاً في القرية، والزماني ممثلاً في فترة

ينطلق الكتاب الصادر حديثاً من مواقف الباحث والروائي الراحل وأعماله الأدبية والبيحيّة للنساول عن مكانة المثقّف في المجتمع الجزائري

### الجزائر: مليكة ياسين

يرتبط اسمُ الباحث والروائي مولود معمري (1917 - 1989)، بأحداث «الربيع الأمازيغي» الدامية التي بدأت احتجاجاً على منع محاضرةٍ له حول «الأدب الشعبي القبائلي» في جامعة تيزي وزُو (التي تحمل اسمه اليوم)، عام 1980. قبل أن تتحوّل إلى واحدة من أكبر الحركات الاحتجاجية المطالبة بالاعتراف بالثقافة والهوية الأمازيغيّتين في الجزائر؛ وهي المطالب التي لن يرى صاحب «الربوة المنسية» أنّها متحقّق؛ إذ رحل في حادث مرور بينما كان عائداً من المغرب، بعد تسع سنواتٍ فقط من تلك الأحداث التي لن تكون الأخيرة.

وقدأد الاحتجاجات وتطوّرها ذلك الشكل لم يكن يحدث ربما لو أنّ المنع طاول كتاباً آخر؛ فلمولود معمري رمزيته ومكانته الخاصة في الثقافة الأمازيغية، وهو الذي كرّس حياته في تدوين تراثها الشفاهي والبحث في لسانتات لغتها وإرساء قواعدها، فضّلاً عن إحسانه الأثروبولوجية في هذا المجال، وقد أسّس من أجل ذلك «مركز الدراسات الأمازيغية» في باريس وأطلق أول مجلة بالأمازيغية باسم «أوال» (الكلم) عام 1982.

في السنوات الأخيرة، باتت المؤسسة الرسمية خبيرة الإحتفاء بمعمري وإنتاجه البحثي والأدبي؛ حتى أنّها أقامت في 2017 احتفالاً خاصاً بعنوانه ميلاده. استمرّ طيلة سنة كاملة، أقيم خلالها ملتقى دولي حول أعماله، وأطلق طابع بريدي يحمل صورته، وصدر عددٌ من كتبه مترجماً إلى الأمازيغية (كُتبت بالفرنسية)، حتى أنّ السلطة اعترفت متأخّرةً على لسان الوزير الأول السابق أحمد أويحيى، قبل بضع سنوات، بأنّ منع المحاضرة كان «خطأ سياسياً». جاء الاعتراف بينما كانت السلطة نفسها تمنع العشرات من المحاضرات الخاصة بالأمازيغية في غير ما مدينة جزائرية. إلى جانب أعماله البحثية، كتب مولود معمري الشعر والرواية والقصة. صدر ديوانه الأول عام 1982 بعنوان «الغزل القبيلة»، وقيل ذلك صدرت له عدة روايات منذ الخمسينيات؛ من بينها:

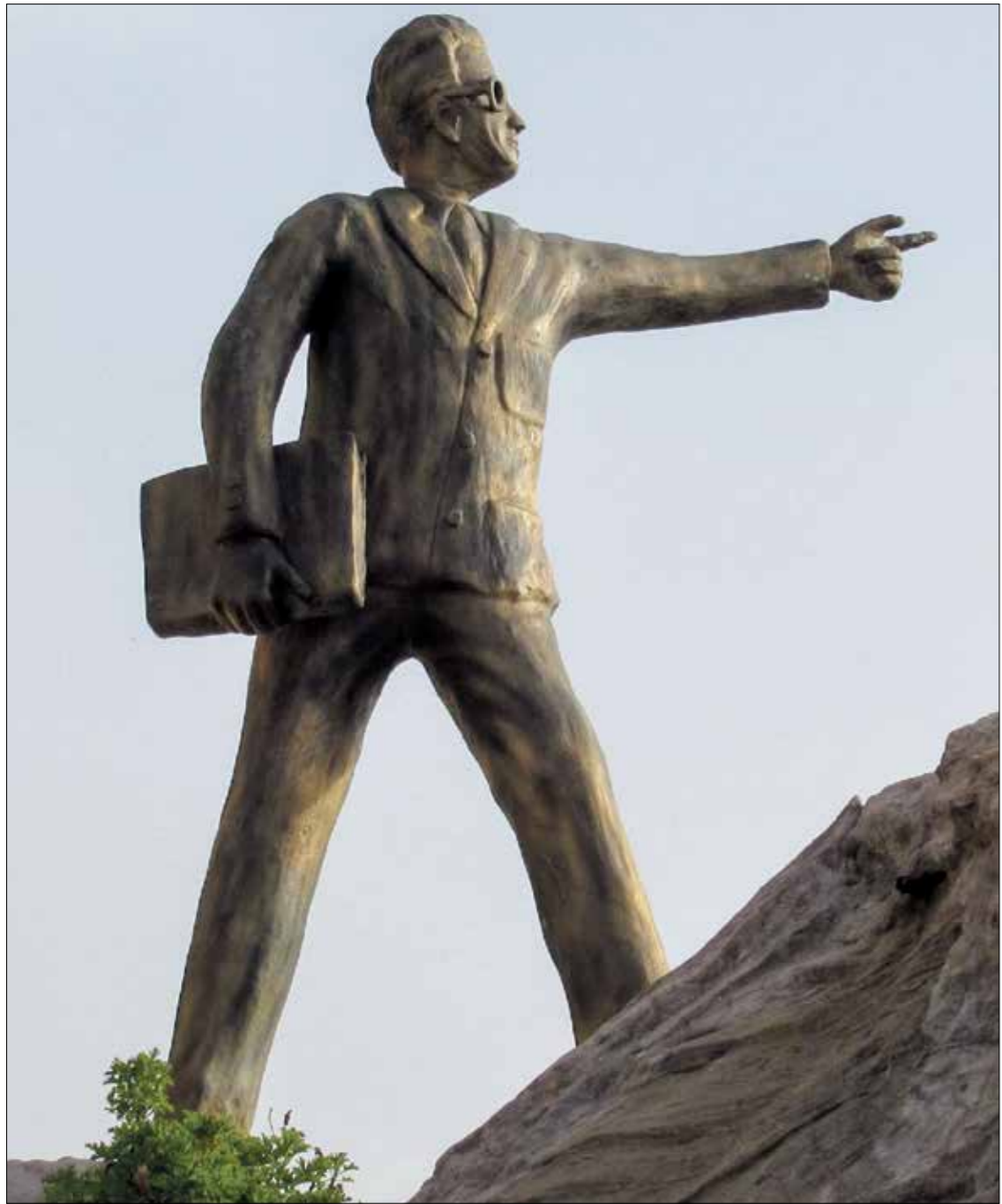
### فعاليات

تنظّم «مكتبة الرشيف» في عقان، بالاشتراك مع «مجلة رقان»، ندوة افتراضية بعنوان **السينما الفلسطينية: صناعة وعرض وجمهورا** عند السادسة من مساء الأحد المقبل. يشارك في الندوة كلّ من السينمائية **سهى عزاف**، والمخرج **مجدب العمري**، والنّاشط **حنا عطا الله**.

**الحفر على الخشب: من وحدي الفنون الإسلامية** عنوان الندوة التي ينظّمها «بيت السلاوي» في القاهرة عند الثالثة من عصر اليوم الخميس بمشاركة الباحثة **جيهان أيوب** والفنانة التشكيلية **نرمين عبد العليم**. تناقش الندوة بدايات الحفر على الخشب واستخداماته عبر العصور وتطوّرها منذ العصر الفاطمي في تقنيات دهانات الحفر وطرف التذهيب وكيفية حماية الخشب المحفور عليه.

حتّى الأثاث والعشريات من نيسان/ إبريل المقبل، يتواصل معرض **نحت** للفنان التشكيلي التونسي **أحمد الزلفاني**، الذي افتّح يوم الجمعة الثالث في «واقف كونسيت ستور» في مدينة الثقافة بتونس العاصمة. يرسم الزلفاني شخصيّاته بقامات فارعة جداً، ورووس صغيرة، وهي تر تدبّ الزياء التقليدية التونسية.

يتواصل معرض الفنانة التشكيلية الجزائرية نجوى سراء بعنوان **أورغ ناجر** حتّى السابع عشر من الشهر الجاري في «مصر الثقافة مفدب زكرياء» بالجزائر العاصمة، والذي افتّح الخميس الحاصب. تستعيد الفنانة النقوش الموجودة على جدران كهوف مدينة سيفار جنوب شرق الجزائر، والتي تعود إلى خمسة عشر الف عام.



تمثال لـمولود معمري في مرسطراسه

■ هل أتراض عن إنتاج ولانا؟
■ لا أستطيع أن أقول بأنني راضٍ. ربما هناك بعض الرضا، ولكن ليس بشكل كامل. يمكنني أن أذكر أحد الأسباب المباشرة لحالة عدم الرضا هذه، وهو نقص مواد الرسم الأصلية في ليبيا خلال هذه الفترة، ويهدد بضفرتي إلى طلب جلبها من الخارج ويهدد ذلك في كثير من الأحيان الوقت ويغيّر أولوية إنجاز المشاريع.

■ لو قبض لك الجده من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

■ لو كان ذلك ممكناً، لا اعتقد بأنني سارتد في اختيار نفس المسار الذي سرّث فيه من البداية إلى اليوم.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟
■ ما أتمناه في هذا العالم هو أن يسود فيه شوء من العدل. نحتاج كثيراً هذه القيمة في مجتمعاتنا.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

■ لو كان من الزمن القريب ربما يكون الكاتب المصري عباس محمود العقاد. سأسأله عن بعض آرائه الأدبية.

#### بطاقة

فنان تشكيلي ليبي من مواليد 1978 في طرابلس درس التصميم والخرافة في «كلية الفنون والإعلام» (جامعة طرابلس). يفتخر في أعماله توليفة بين فن التصميم والحرفية والخرافة والشعر والرسم الجداري والفلسفيا. شارك معارض وتظاهرات فنية مثل «مهرجان هانيبال للفنون التشكيلية» (2004)، و«معرض ربيع الحروف بدار الفنون» (2013) في تونس، والعرض العام للفنون التشكيلية، بمصراتة (2014). إضافة إلى معارض للحرفيات في ألمانيا.